الإعلامية في شعر جمعة الفاخري ـ نص (لاممكنات) أنموذجًا دراسة تحليلية نقدية

د. نجاة عمار حسن الهمالي ـ كلية التربية طرابلس / جامعة طرابلس
n.alhammali@uot.edu.ly

The informativity in the Poetry of Jumaa Al-Fakhr the Text (No Possibilitie)

Dr Najat Ammar Hasan Alhammali

Abstract:
Contemporary critical studies have focused on the recipient who receives the text, interacts with it, and measures the extent of his anticipation of the intentions of the text producer through his interpretation and analysis, and then participates in its reproduction. Since the informativity is one of the criteria by which the efficiency of the text is measured, and the recipient with his culture is the one who determines it, the choice was made to apply it to the contemporary Libyan poetic text, so the research was titled "The informativity in the Poetry of Jumaa Al-Fakhri, the Text (No Possibilities) as a Model" according to a study plan that includes an introduction: in which the reason for choosing the topic, is to highlight the capabilities of the Libyan creator that are comparable to the creators of the Arab world, and the goal of the study is to shed light from a different angle on contemporary Libyan poetry, by searching for the relationship between the text and the recipient, to enter the theoretical part with an introduction in which we discuss the concept of informativity in language and terminology, and information to define the poet and his most important works, however, for the applied part, we first review the creative text, and then analyze and criticize it by searching for the ranks of informativity, its elements, and its efficiency in the text under study, and the descriptive analytical method will be our way to achieve this, to conclude with a conclusion containing the research results and its recommendations.
Keywords: Media - Libyan Poetry - Al-Fakhri

الملخص:

اهتمت الدراسات النقدية المعاصرة بالمتلقي الذي يستقبل النص، و يتفاعل معه ، و يقيس مدى توقعه لمقاصد منتجه من خلال تفسيره ، و تحليله ، ومن ثم المشاركة في إعادة انتاجيته. وبما أن الإعلامية أحد المعايير التي تقاس بها كفاءة النص ، و المتلقي

بثقافته هو من يحددها ، جاء الاختيار بتطبيقها على النص الشعري الليبي المعاصر ، فوسم البحث "الإعلامية في شعر جمعة الفاخري ، نص (لا ممكنات) أنموذجا" وفق خطة دراسية تحوي مقدمة فيها : سبب اختيار الموضوع ، وهو إبراز إمكانيات المبدع الليبي التي تضاهي مبدعي العالم العربي ، والهدف من الدراسة وهو تسليط الضوء من زاوية مختلفة على الشعر الليبي المعاصر، من خلال البحث عن العلاقة بين النص و المتلقي ، لندخل إلى الشق النظري بتمهيد نتناول فيه مفهوم الإعلامية لغة واصطلاحا، و معلومات للتعريف بالشاعر و أهم أعماله ، أما الشق التطبيقي فنستعرض فيه أولا النص الإبداعي ، ثم تحليله ونقده ثانيا من خلال البحث عن مراتب الإعلامية ، و عناصرها ، و كفاءتها في النص قيد الدراسة ، وسيكون المنهج الوصفي التحليلي سبيلنا إلى ذلك ، لنختم بخاتمة تحتوي نتائج البحث و توصياته .

الكلمات المفتاحية: الإعلامية – الشعر الليبي – الفاخري .

المقدمة:

وضع اللسانيون معايير لتحديد نصية النص، و الترابط بين أجزائه ، بحيث ترتفع كفاءة النص بتحقق تلك المعايير ، مما يمكّن المتلقي من الاستمتاع بالنص و التأثر برسالة المبدع ، و تللك المعايير هي : السبك و الحبك و القصد و القبول أو المقبولية و الإخبارية أو الإعلامية و المقاماتية و التناص ، وبما أن الباحثة هنا معنية بدراسة ما يتصل بالسياق المادي، و الثقافي المحيط بالنص وقع الاختيار على معيار الإعلامية لتقصي نصوص الشعر الليبي من خلاله ، و فهم أعمق لكيفية انتاج النص الشعري ، و كمية و نوعية المعلومات التي يريد النص إيصالها للمتلقي .

سبب الاختيار:

بعد البحث في بعض نصوص الشعر الليبي المعاصر، و مدى تحقق المعايير النصية فيه ، وقع الاختيار على إحدى قصائد الشاعر الليبي (جمعة الفاخري) ، حيث توقف البحث عند قصيدته (لا ممكنات) التي توافرت فيها عناصر الإعلامية وهي (الجدة و المفاجأة وحل المشكلات و الإيجاز و اتساع المعنى) ، فهو نص غني بالرموز و الإيحاءات ، لذلك سيكون البحث عن مدى تحقق هذا المعيار فيه، و النفاذ إلى نقطة التقاء بين النص و المتلقي ، بقياس فاعلية النص من خلال هذا المعيار، فجاء العنوان (الإعلامية في شعر جمعة الفاخري، نص "لا ممكنات" أنموذجا) لجدته ، و ندرة البحث فيه ، و لإبراز إمكانيات المبدع الليبي .

هدف البحث :

يهدف البحث إلى تطبيق معيار الإعلامية على النص الليبي للبحث في مدى توافر شروطها فيه ، و توجيه الاهتمام إلى نصوص بكر لم تتوجه إليها الدراسات بالبحث و الدراسة ، و إبراز العلاقة بين النص و المتلقي فيها .

أهمية البحث:

تعد الإعلامية أحد المعايير التي يقاس بها كفاءة النص، و يستطيع المتلقي بثقافته أن يحددها، و من ثم المشاركة في انتاجية النص من خلال تفسيره و تحليله، لذلك جاء هذا البحث لتطبيق أحد تلك المعايير على النص الأدبي، وهو معيار الإعلامية ، لقياس مدى كفاءته ، و تحققها في النص المختار للدراسة .

الدراسات السابقة:

استفاد البحث من بعض الدراسات التي كانت الإعلامية محورها، أو ضمن مباحث الدراسة فيها ، مثل كتاب (النص و الخطاب و الإجراء) لروبيرت دي بوجراند وهو كتاب في علم اللغة النصي و تحليل الخطاب ، و قد قدم فيه مؤلفه نظرية متكاملة في لسانيات النص، مقترحا سبعة معايير يكون من خلالها النص عالي القيمة، و إذا فقدها تقل قيمته ، ومن هنا كانت الاستفادة ، فالإعلامية أحد تلك المعايير التي اقترحها بوجراند ، و شرح معناها و مراتبها و عناصرها مما فتح باب الفهم و الاستيعاب ، ثم كتاب (المعايير النصية في السور القرآنية) ليسري نوفل ، ويقدم فيه دراسة تطبيقية تهدف إلى كيفية تطبيق المعايير النصية على السور القرآنية ، لاستكشاف وجودها فيها ، و لفهم أعمق لها ، و هناك دراسات مشابهة استفاد منها البحث بشكل أو بآخر مثل دراسة : محمد عبد الرحمن إبراهيم (الإعلامية أبعادها و أثرها في تلقي النص) و هي رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية بماليزيا ، دراسة تحليلية تهدف إلى استكشاف مفهوم الإعلامية في النص الأدبي و كيفية تأثيرها على المتلقي ، و دراسة زيد بن ذبيان الشمري المنشورة بمجلة كلية الآداب جامعة طنطا معنونة (الإعلامية في النص الأدبي) و هي دراسة تطبيقية على قصيدة وصف الرياض للشاعر زين العابدين ، يعرض فيها مدى الترابط بين علم اللغة النصي ، و علوم البلاغة و النقد ، عبر معيار الإعلامية ، فضلا عن دراسات أخر ستذكر في مسرد المصادر و المراجع ، و لم أجد من خلال تلك الدراسات ما يبحث في إعلامية النص قيد الدراسة (لا ممكنات) لجمعة الفاخري ، فيما أعلم .

خطة البحث:

لتؤتي هذه الدراسة أُكلها، تكونت خطة البحث من جزأين:

أولا المهاد النظري: وفيه رصد لمفهوم الإعلامية، عناصرها ومراتبها وضوابطها ومبادئها، والتعريف بالشاعر وأعماله.

ثانيا الدراسة التطبيقية: وفيها الدراسة و التحليل؛ حيث نسبر أغوار النص بتحليله و بتبيان مدى توافر معيار الإعلامية فيه من خلال دلالة ألفاظه وصوره، والتقاط درجاتها (أي الإعلامية)،وتحديد عناصرها، لنختم بنتائج الدراسة وتوصياتها ستكون الدراسة وفق المنهج الوصفي الذي يستعرض النص بالتحليل مبرزا لجمالياته وتجليات الإعلامية فيه.

أولا ـ المهاد النظري :

تأصيل:

1- مفهوم الإعلامية : لا يقصد بمصطلح الإعلامية المفهوم الذي يدل على المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال ، و إنما يقصد به ناحية الجدة و التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف[1] ، فهناك من يخلط بين مصطلح الإعلام حيث الإخبار عن المعلومات و الأحداث، و مصطلح الإعلامية أحد معايير النص ، فأي (نص يجب أن يقدم خبرا ما ، بل إن الرغبة في الإخبار تمثل غرضا أوليا لدى أي كاتب)[2] لذلك يفضل بعض النقاد مصطلح الإخبارية لأنه (يتعلق بتحديد جدة النص، أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدم توقعها)[3] وهناك من رأى في مصطلح الإبلاغية الأقرب[4] وستلتزم الباحثة بمصطلح الإعلامية

فهو أكثر شمولية ودلالة على المعنى المراد من المصطلح في هذه الدراسة . (INFORMATiViTY

أ) الإعلامية لغة : في اللغة " يُقال : اسْتَعْلِمْ لي خَبَر فلان و أَعْلِمْنِيَه حتى أَعْلَمَه، و اسْتَعْلَمَني الخبر فأَعْلَمْتُه إياه"[5] ، "و أَعْلَمَ فلانا الخبرَ، وبه : أخبره به، وأعلم فلانا الأمرَ حاصلا : جعله يعلمه"[6]

فالإعلامية بذلك لها معنى الإخبار و الإعلام، الذي يحمل دلالة عدم المعرفة لدى المتلقي ، وبعد أفق توقعه عما في النص من معلومات .

ب) الإعلامية اصطلاحا:

هي " العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي ، في مقابلة البدائل الممكنة لبديل من خارج الاحتمال ، و مع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع " [7]و أيضا هي النظر في مدى توقع المتلقي لما في النص الحاضر من معلومات ، أو عدم توقعه له[8] فالإعلامية تشكل في الاصطلاح معنى الإخبار، و كيفية استقبال المتلقي للنص ، الذي يحسم درجة الإعلامية و كفاءتها من خلال أفق التوقع لديه ؛ فإذا كان النص جديدا فيما يطرحه من معلومات ، و طريقة الصياغة مغايرة لما تعود عليه المتلقي، و كان نصا محفزا له ، كانت كفاءته الإعلامية عالية .

2- مراتب الإعلامية:

مراتب الإعلامية أو درجاتها ، بأنه إذا (Robert De Beaugrande حدد دي بوجراند كانت صياغة النص عادية ، مفهوما لدى المتلقي ، و ما يخبرنا به محتمل الوقوع فهنا يكون ذا كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة أي إنها إعلامية من الدرجة الأولى ، و لا تحظى باهتمام المتلقي لأنها لا تستثير لديه أي انتباه، و لا تحتاج إلى جهد لفهم النص . وأما إذا كان النص غير متوقع في محتواه بالنسبة للمتلقي ،إلا أنه محتمل الوقوع في ذهنه فيكون غير محفز له، فتكون كفاءة إعلامية النص متوسطة الدرجة ، أي إنها إعلامية من الدرجة الثانية فهي تحتاج إلى إعمال الفكر للترجيح بين الاختيارات و من ثم مشاركة مبدع النص في انتاج الدلالات[9] ، و تكون كفاءة إعلامية النص مرتفعة الدرجة إذا كانت صياغة النص غير محتملة الوقوع ، و أعلى من مستوى توقع المتلقي ، مما يجعلها مثيرة للجدل ([10]) وهي إعلامية من الدرجة الثالثة لأن الوقائع خارجة على الخيارات المحتملة في ذهن المتلقي([11]).

3- ضوابط الإعلامية ومبادئها:

أ- من المعايير التي تضبط النص وترفع من كفاءته مبدأ (الجدة)، فلابد أن يقدم النص أخبارا مستحدثة، مع مراعاة الابتعاد عن الغموض المؤدي إلى التعقيد.

ب- يرتبط مبدأ (المفاجأة) بالإعلامية مما يرفع من كفاءة النص، ويقصد بها مباغتة المتلقي بالفجوات النصية وعدم توقعه لما يأتي به النص.

ج- عندما تجد أمور على طبيعة النص يلجأ المتلقي إلى (حل المشكلات) وذلك بتأويل النص، وفك غموضه.

د- تعتمد كفاءة النص على (مبدأ الخبرة) فكلما كانت المعلومات الواردة في النص بعيدة عن ثقافة المتلقي ومعارفه السابقة ، كانت كفاءة النص عالية .

هـ - يحتاج معيار الإعلامية إلى معيار التناص في تفسير بعض النصوص ، لذلك جاء (مبدأ التناص)ليحدد المعنى القائم .

4- ترجمة الشاعر :

جمعة سعيد محمَّد الفاخري ، مواليد اجدابيا عام 1966 شاعرٌ ، وقاصّ ، وصحفيّ ، ومذيع وإذاعيّ ، وباحث في المأثور الشَّعبيِّ ، شغل منصب رئيس تحرير صحيفة المأثور الشعبي، و مستشار ثقافيّ للرَّابطة العربيَّة للقصَّة القصيرَة جِدًّا، وهو عضو مؤسِّس ونشطٌ بها.

أعدَّ وقدَّم العديد من البرامج المرئية للقناة الليبيّة ، وللإذاعة المسموعة.

مؤلفاته :

أ) المجموعات القصصية:

1 - صفرٌ على شمالِ الحبِّ. 2- رمادُ السَّنواتِ المحترقَةِ . 3- امرأةٌ مترامِيةُ الأطرافِ 4- عناقُ ظلالٍ مراوغَةٍ.5- التَّرَبُّصُ بوجْهِ القمرِ6 - رفيف أسئلةٍ أخرى. 7- حبيباتي. 8- مراسِمُ اقترافِ وطنٍ. 9- ظلال ومرايا 10-عِطرُ الشَّمسِ. 11- قَهْقَهةٌ شَهِيَّةٌ. 12 - عصيرُ ثرثرةٍ . 13- سطرُ روايتي الأخير .

ب) الدواوين الشعرية :

1) اِعترافاتُ شرقيٍّ معاصر. 2) حَدَثَ في مثلِ هذا القلبِ. 3) شيءٌ من وهجِ القلبِ. "تأمُّلاتٌ في الأدبِ والحُبِّ والحيَاة". 4) توقيعاتٌ على وَجْنَةِ القَمَرِ. 5) تقمَّصتني امرأةٌ. 6) ربيعٌ على جناحي فراشة. "خطراتٌ أدبيَّة".. 7) أسيرُ بقلبٍ ملتفتٍ." شَذَرَاتٌ جَمَاليَّةٌ

تُرْجِمَتْ بعضُ قصائده وقصصه للغة الإنجليزية، وتُرْجِمَ ديوانه (اعترافاتُ شرقيٍّ معاصر) للفرنسية. كما تُرْجِمَتْ بعضُ نصوصه الأدبية للغة السُّويدية والفارسية والفرنسية والإنجليزية والأمازيغية .[12](ينظر متصفح وزارة الثقافة)

5- النص الشعري :

قصيدة (لا ممكنات)

لا وقتَ لارتشافِ لِبَاءِ القَصِيدة

وَهْيَ تَهْصُرُ ضَرْعَهَا فِي أَفْوَاهِ الفَرَاغ..!

لا مُبَرّرَ لهشّ عذارى الهوى..
وهنَّ يُمَشّطْنَ رُمُوشَ الغِوَايَةِ
بمشطِ اللَّهْفَةِ الذَّهَبِيّ..!
لا ضرورةَ لإغماضِ عينِ قمرٍ مراهقٍ
يتنهَّدُ إزاءَ عاشقينِ يتنابزانِ قبلاتٍ
تُضْئُ العِنَاقَ..!
لا تَصَالُحَ مَعَ عَرَاء ..
يُرْسِلُنَا خَطِيئَةً لِذَاذَاتٍ مُرائِيَةٍ
لا تَوْبَةَ لِمَارِقَةٍ تَتَرَحَّقُ حِمَمَ الشَّبَقِ الكفورِ
مُمَسِّدَةً جَسَدًا مُنْتَهَكًا
بغسلينِ اللَّعَنَاتِ .
لا حَاجَةَ لتسمِيَةِ القُبْلَة. ..!
وَرَحِيقُهَا يُهَدِّدُ العَسَلَ بِالْنُّضُوبِ مَرَارَة
لا مَنَاصَ مِنَ البَصْقِ عَلَى أُنْثَى
تُقَشِّرُ تُوتَ عَذَارَتِهَا
مُحْتَفِيَةً بِعُرْيِ جَسِدِهَا المَرْمَرِيّ
لا طائلَ من لجمِ جُمُوحِ قلمٍ
يرعفُ شوقًا للعقِ رِضابِ قصيدَةٍ
تَتَشَهَّى الاحْتِوَاءَ
لا نِيَّةَ لرمي مسوَّدَةِ قصيدَةٍ
تفغرُ فيها أَلْسَنَةُ الدَّهْشَةِ خَاصِرَةَ السُّؤَالِ

ثانيا ـ الدراسة التطبيقية :

التحليل و النقد :

تهدف الإعلامية إلى جذب المتلقي ، و لفت انتباهه من خلال غموض النص وعدم توقعه " على ألا يصل عدم التوقع ، أو الغموض إلى درجة التعقيد التي لا يخرج منها المتلقي بطائل مهما بذل من جهد"[13] (عبد الراضي، أحمد محمد ،2011، ص364) ، و النص قيد الدراسة يصدم المتلقي منذ العتبة الأولى (العنوان) و يلفته بتركيبته و دلالته الغامضة (لا ممكنات) جملة إسمية لها دلالة الثبات ، فهو ثابت على أمره ، متجاوزًا

حدود الزمن ، فالشاعر يضع حدودا لما يمكن باستخدامه لأداة النفي (لا) فيضع المتلقي في حيرة عما ينفيه ، بل ما تلك (الممكنات) التي يضعها في دائرة المستحيلات بنفيها ؟ و من هنا كان إغواء العنوان و إغراؤه للمتلقي باقتحام النص الذي جذبته إيحاءات العنوان له ، و هنا أيضا يكمن هدف الإعلامية من جذب انتباه المتلقي ..

لو بحثنا في معاجم اللغة لوجدنا أن كلمة (ممكنات) جمع ممكن ، و تعني المحتملة الحدوث أو بالإمكان الحدوث ، فالممكن لغة: المحتمل الحدوث أو المتيسر و المستطاع و الجائز[14] و لكن الشاعر ينفي (الممكن) و يجعله مستحيلا ، مما يجذب القارئ و يحفزه للإقبال على القصيدة ، ومحاولة فك طلاسمها ، و الوصول إلى دلالاتها ، و في ذلك محاولة منه للخروج بالنص عن المألوف لفك غموضه بمختلف الأدوات المتاحة إذ (تفرض هذه الأنظمة نفسها ، حيث تضفي على النص روح الغموض ، أو عدم التوقع مما يرفع درجة إعلاميته)[15](، لذلك سيكون التركيز في هذا البحث على مدى توافر الإعلامية في نص الفاخري و مرتبتها ، و العلاقة التي تربط المتلقي به .

إن الشاعر يقرر أمرا ، و يخبرنا عنه من خلال نصه (لا ممكنات) ، فيطرح كلاما غير مألوف لدى المتلقي ، مما يربكه و يضعه في حيرة من غموض النص ، فبعد الصدمة الأولى من العنوان ، ينتقل إلى مطلع النص ، الذي خرج عن أفق توقعه أيضا ، فما علاقة ارتشاف اللباء بالقصيدة ، حيث يقول الشاعر في مطلع نصه :

لا وقت لارتشاف لِباء القصيدة

وَهْيَ تَهْصُرُ ضَرْعَهَا فِي أَفْوَاهِ الفَرَاغ..!

لغة النص عالية ، تحمل مفاجأة في علاقة الكلمات ببعضها ، تربك المتلقي بانبثاق الفجوات التي تحفزه على استنطاقه بملء الفراغات بإسقاطاته[16] ، فيجد بأن الشاعر ينفي الزمن في قوله (لا وقت) و الوقت : زمن ← و لا أداة نفي ، إذن هنا نفي لزمن حدده ب (ارتشاف اللبأ) و ارتشاف تعني "مص الماء و تناوله بالشفتين أو شربه قليلا قليلا "[17] ، واللبأ هو الحليب الذي يؤخذ من البقرة بعد ولادتها مباشرة ،" أول اللبن عند الولادة "[18] ، فما علاقة اللبأ بالقصيد ؟ يلجأ المتلقي **للخفض التقدمي** ليدرك مغزى الكلام فيكتشف أن الشاعر يوحي بضيق وقته للمتع البسيطة ، فلا وقت لديه للتمتع بمباهج الحياة ، فهو يجسم القصيدة و يجعلها بقرة حلوب تدر اللبأ ، و ذلك اللبأ على قيمته العالية يضيع هباء ، إذ جعل للفراغ أفواها ، يُهصر فيها الضرع ، فتبتلع اللبأ(تهصر ضرعها في أفواه الفراغ) و هنا يحمّل معاناته للفعل المضارع (يهصر) وهو مشحون بدلالته على الحاضر

المستمر ، و إذا تأملنا أفق الجملة الشعرية لوجدنا أن في (الارتشاف) تمهل، و في (الهصر) معاناة ، فهو ينقل إلينا معاناة المبدع في نظم قصيده إذا لم يلتقط الفكرة ، و معاناته في ظل عدم الاحتفاء به و بإبداعه ، حيث يتلاشى جهده في الفراغ .

تلازم (لا) النافية كل مقطع في النص، فبعد نفي الزمن في المطلع، يكرر النفي في قوله:

لا مبرر لهش عذارى الهوى
و هن يمشطن رموش الغواية !
بمشط اللهفة الذهبي

من مبادئ الإعلامية أن يبلغنا النص شيئا جديدا ، و معلومات متنوعة[19] ونص الفاخري يحمل ذاك التنوع ، و كذلك الجدة التي نلحظها في الفكرة التي بنى عليها نصه ، و في اختياره لألفاظ يوظفها بطريقة غريبة ، غير مألوفة ، من خلال التجسيد والتجسيم و الاستعارة و الكناية و الحذف ...إلخ ، فهو في هذا المقطع يفاجئ المتلقي ، حيث توحي الأشطر الثلاث السابقة بأنها غزلية ، من خلال الكلمات (عذارى – الهوى – الغواية – اللهفة) و لكن **أفق التوقع** عند المتلقي يُصدم بكلمات أخر ترافق الكلمات الغزلية ، هي بعيدة عن التغزل ؛ فعذارى الهوى (تُهش) كأنها ذباب ، و الغواية لها (رموش) كالمرأة الفاتنة ، و اللهفة لها (مشط) ذهبي تُمشّط به كصبية ، فيتوقف المتلقي حيال كل تلك الصور، و التجسيدات الغريبة ، باحثا عن تفسير لمقاصد الشاعر ، فالنص غامض يحفز على إعمال الفكر، و البحث في أعماق المعنى، و استخراج معنى المعنى و ظلاله ، لنصل إلى ما يخبرنا عنه الشاعر ، و لا يكون ذلك إلا بقراءات متعددة، لنكتشف أن الشاعر يؤكد على ما ينفيه إيحاءً، بانثيال الأفكار و إلحاحها عليه ، وهو لن يردها عنه ، و لن يبعد هطلها الشديد الذي يملك عليه ذاته بتتالي الصور الاستعارية بشكل لافت ، بتجسيده و تشخيصه للمعنويات .

إن الجدة و التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف هو ما يتصف به نص الفاخري ، و هو ما يدل على توافر الإعلامية فيه ؛ ففي المقطع الثالث من النص يهدأ الخطاب مع تكرار النفي ، و إعلان صارخ أن الحقيقة لا ينبغي أن تُخفى ، فهي ساطعة سطوع تلك الأحداث التي تملأ المكان و الزمن فيقول :

لا ضرورةَ لإغماضِ عينِ قمرٍ
يتنهَّدُ إزاءَ عاشقينِ يتنابزانِ قبلاتٍ
تُضْنِئُ العِنَاقَ !!..

هنا أيضا نفي يحير المتلقي ، و يزيد من حيرته و إرباكه أن الكلمات المألوفة في غير مكانها المألوف ، مما يدفع إلى قراءة ثانية أو أكثر لفك الغموض ، و رفع الحيرة ، فنجد أن دلالة القمر السطوع و الجمال و العلو ، لذلك ينفي الشاعر إخفاء ما هو ظاهر ، فالقمر شاهد على أحداث الزمن ، العامر بكل المتناقضات ، التي يطرحها هنا :

يتنابزان = يتداعيان بالألقاب ← لكن الشاعر يرفع من إعلامية نصه بتوظيفه للكلمة بطريقة مغايرة للمألوف ، فالمعلوم أن التنابز يكون بالألقاب أي يلقب أحدهم الآخر بلقب ، فكيف يكون التنابز بالقبلات ؟ و مع تأمل طويل ، و كلمات تضئ المعالم نستطيع أن نصل إلى مراد الشاعر :

إنه يتحدث عن معاناة المبدع عند نظم قصيدة مفعمة بالحب ، فحدث انزياح لكلمة تبادل القبلات ، لتكون تنابزا بالقبلات ، و الشاهد هنا في الشطر الأخير (تضئ العناق) و هو كناية عن الحب الهائل الذي تزرعه القصائد في النفوس .

تتصاعد النبرة الخطابية في المقطع الرابع ، و تزداد حدة مع تصاعد و تكرار أداة النفي (لا):

لا تَصَالُح مَعَ عَرَاء ..

يُرْسِلُنَا خَطِيئَةَ لِذَاذَاتٍ مُرائِيَةٍ

إنه صراع الذات المبدعة ، و الأنا التي تحمل حس الشاعر و معاناته ، بنفيه ما يعتمل في أعماقه ، فهو لن يتصالح مع حياة تفتقر إلى أبجديات الإبداع فيصرخ قائلا :(لا تصالح مع عراء .. يرسلنا خطيئة لذاذات مرائية) فالشكوى واضحة من تلك الأوساط الموبوءة بالرياءو المتع الزائفة، و النفاق و انعدام الفكر؛ لأنها تشد إلى الوراء و لا تدفع إلى الأمام

و تتصاعد وتيرة النفي بحدة في قوله :

لا تَوْبَةَ لِمَارِقَةٍ تَتَرَحَّقُ حِمَمَ الشَّبَقِ الكفور

مُمَسِّدَةً جَسَدًا مُنْتَهَكًا

بغسْلينِ اللَّعَنَاتِ

و مع ذلك التصاعد ، يفاجئنا الشاعر بانتقاله من لغة اللهفة ، و الحب المتأجج بإيحاءات القصيد ، إلى لغة تحمل القسوة في قوله (لا توبة) و هي لفظة لها تداعياتها الدينية ، يوظفها الشاعر منفية بدلالة مغايرة ، و كذلك بصورة مرعبة أو مقززة في قوله (غسْلين اللعنات) و تعني ما يخرج من الثوب و نحوه بالغسل، و أيضا تعني ما يسيل من جلود أهل النار، فيصدم أفق التوقع لدى المتلقي ، إذ إن التوبة مطلوبة و بابها مفتوح أمام

العالمين ، فكيف يقفل الشاعر بابها بالنفي ؟! و لكن بقراءة أخرى متأملة و لدلالات سابقة في النص ، نجد أن المبدع يقصد الفكرة التي تراوغه ، و يكاد بابها أن ينغلق على ذهنه الباحث عن بناء قصيدة صعبت عليه ، فيجسدها و يوجه إليها الخطاب : (لا توبة لمارقة تترحق حمم الشبق الكفور ممسدة جسدا منتهكا) لقد أعيته الفكرة التي يصفها بالمروق؛ فهي كامرأة مارقة خرجت عن المألوف فلا توبة لها ، كذلك فكرته ، لأن النص لم يستقم له ، فرآه جسدا منتهكا ، إذ لا عودة عن فكرة اقتنصها خيال جامح ، تلوذ بالكلمة لتنطلق إلى الأفق المسموع .

و يعود هدوء نفسه و تلين الكلمات في قوله :

لا حَاجَةَ لتسمِيَةِ القُبْلَة. ..!

وَرَحِيقُهَا يُهَدِّدُ العَسَلَ بِالْنُّضُوبِ مَرَارَة

و لكن رغم لين كلماته إلا أن إعلاميته عالية ، فيخرج عن المعتاد في نفيه لتسمية القبلة ، و بوضعه كلمة ذات إيحاءات سلبية في احتفائه بالمتع ، فيضع السلب مقابل الإيجاب للفت الانتباه :

القبلة = رحيق = العسل ↔ يهدد = النضوب = مرارة }كلمات سلبية { كلمات إيجابية

فالتهديد يستدعي أكثر من دلالة سلبية : فقد الأمن – عدم الاستقرار – الحرب – القتل – الدمار ...

كذلك كلمة النضوب لها دلالة التلاشي ، أما المرارة فهي صورة ذوقية سيئة في ذهن المتلقي ، و لكن مع قراءة مغايرة و اللجوء **للخفض الرجعي** نجد أن التغزل في القبلة هو ما دعا إلى تلك الصورة السلبية ، فحلاوة الإبداع أكثر تأثير من حلاوة الشهد .

يتراوح نص الفاخري مدا و جزرا بين القسوة و اللين ، الحدة و الهدوء ، فيعود في المقطع السادس إلى الحدة مع النفي في قوله :

لا مَنَاصَ مِنَ البَصْقِ عَلَى أُنْثَى

تُقَشِّرُ تُوتَ عَذَارَتِهَا

مُحْتَفِيَةً بِعُرِيِّ جَسدِهَا المَرْمَرِيِّ

هناك رغبة ملحة على الشاعر يود أن يعبر عنها من خلال نصه ، فيفاجئنا مرة أخرى بما يريد ؛ إنه يريد البصق على أنثى بمواصفات معينة ، إن القضية كما نراها لأول وهلة قضية لا أخلاقية ، يزيد من تأكيدها الشطران المواليان ، فما دخل الأنثى هنا و النص يتحدث عن معاناة المبدع ! و بتتبع الرموز نجد معنى آخر يفيد بدلالات أُخر :

فالأنثى تحمل دلالة الصخب و الفتنة ، والشاعر يريد (البصق) على كل ذلك الصخب ، احتقارا و انتقاما لقصيدته التي تأبى أن تكتمل فكرتها في حضور الفتنة و الحياة الصاخبة لكنه يعود إلى هدوئه من جديد فيضع حلا لقضيته ، بلجم جموح قلمه ليتمهل :

لا طائلَ من لجمِ جُمُوحِ قلمٍ
يرعفُ شوقًا للعقِ رِضابِ قصيدَةٍ
تَتَشَهَّى الاحْتِوَاءَ

هنا الصورة جعلت للقلم جموحا ، و الجموح للجواد في الأصل ، فاستعاره الشاعر للقلم ، فكأن القلم جواد جامح يشتاق لأنثاه لذلك يحتاج للجم ، و القصيدة أنثى تتشهى الاحتواء، الكلمات استخدمت في غير مكانها فصار المقطع غامضا ، لذلك لابد من خفض الإعلامية بأن نؤول بناء على المعطيات أو المفاتيح التي قدمها الشاعر لفتح المنغلق وهي هنا (قلم – قصيدة) لنجد بأن الشاعر يؤكد بأن قلمه المبدع سيلتقي بالفكرة التي ستتولد عنها قصيدته ، و يحتويها بين أوراقه ، فتنتهي معاناته، و تنتصر الذات المبدعة التي تعدنا بنص جميل ، يحمل المتعة و الدهشة :

لا نِيَّةَ لرمي مسوَّدَةِ قصيدَةٍ
تفغرُ فيها أَلْسنَةُ الدَّهْشَةِ خَاصِرَةَ السُّؤَالِ

يصل الشاعر بنا في نهاية نصه إلى بر الأمان، بتقديمه حلا لكل المشكلات السابقة ، حيث تحدث بطريقة أكثر شفافية ، بعيدة عن الغموض ، ومرر عبر نصه معلومات ، قد يقصدها الشاعر، و قد تكون غير مقصودة منه ، إلا أنها تحتاج تحليلا للوقوف على دلالة النص التي ربما وظفها لغاية ما، فالشاعر يستقر به تفكيره على إنجاز قصيدته ، التي ستجعل المتلقين يتساءلون عن مغزاها ، وهو هنا **يتناص** مع بيت المتنبي الشهير الذي يقول فيه :

أنام ملء جفوني عن شواردها و يسهر الخلق جراها و يختصم[20]

مما يرفع من درجة إعلامية النص، فالتناص من آليات الإعلامية، و بإمكاننا أن نلاحظ عددا من الكلمات التي تستدعي لدينا الذاكرة الدينية في بعض فقراته، مثل:

بالألقاب بئس الاسم و لا تنابزوا: " كلمة تستدعي لدينا الذاكرة الدينية في قوله – تعالى- ====➔ يتنابز الفسوق بعد الإيمان "([21])، فالشاعر يستخدم الكلمة في غير ما

اعتاد عليه المتلقي ، بذلك حقق غرضين : الإعلام أو الإخبار و كذلك التأثير الأسلوبي على المتلقين ، و هو بهذا الأسلوب يفاجئ المتلقي و يصدمه محققا أعلى درجات الإعلامية، فيلفت انتباهه للنص مثيرا فضوله ، بمحاولة قراءته قراءة أخرى ، و هذا ما يجعل إعلاميته مرتفعة من الدرجة الثالثة وهي تمثل النص غير المتوقع في الهيئة غير المحتملة[22] و في استخدامه لكلمة (خطيئة)====◄وهي كلمة معنوية لها صبغة دينية ، و لكن الشاعر يشخصها في قوله (يرسلنا خطيئة)فالخطيئة تتلبس الإنسان بل تصير هي بذاتها إنسانا يُرسل ، بدلالة (نا) في (يرسل) وهو ما يفاجئ المتلقي ، و كذلك الألفاظ ====◄(توبة و غسْلين واللعنات) لها معانيها في القرآن الكريم ، و الشاعر يجعلها في أنماط مخالفة لما هو مخزن في ذاكرة المتلقي المعرفية السابقة ، فباب التوبة لا يقفل، قال تعالى " إلا الذين تابوا و أصلحوا و بينوا فأولئك أتوب عليهم و أنا التواب الرحيم "[23] و الشاعر يأتي بها منفية مما يخالف توقعات المتلقي فيفاجئه، مما يحفزه للبحث عن المراد من تلك الألفاظ ، لكنه يصدم بالبيت الذي يليه ، و فيه اقتباس من القرآن الكريم يحمل الرعب في قوله تعالى " و لا طعام إلا من غِسْلين"([24])

فما مكان هذه الكلمة في القصيدة ، و هنا لابد من العودة إلى آليات الخفض في الإعلامية ، فيوظف آلية الخفض الرجعي، وهو أن يرجع المتلقي إذا غمض عليه مراد الشاعر من قصيدته إلى ما في النص من كلمات سابقة ، لتساعده على التفسير و التحليل ، و من خلال المقطع الأول (لا وقت لارتشاف لباء القصيدة) يتوصل إلى أن الشاعر إنما يُعلِمنا عن معاناته في نظم قصيدته ، و ما يؤكد هذا القول المقطع ما قبل الأخير في القصيدة(لا طائل من لجم جموح قلم - يرعف شوقا للعق رضاب قصيدة) ثم في المقطع الأخير حيث يقول : (لا نية لرمي مسوّدة قصيدة ...) و من خلال ذلك كان تحليل قول الشاعر :

لا تَوْبَةَ لِمَارِقَةٍ تَتَرَحَّقُ حِمَمَ الشَّبَقِ الكفورِ
مُمَسِّدَةً جَسَدًا مُنْ على إعمال العقل تَهَكًّا
بغسْلينِ اللَّعَنَاتِ

فهو يرى أن فكرة القصيدة كمارقة لا تتوب عن أعمالها الخبيثة؛ إذ لا تطاوعه لنظم النص المرجو، لأنها كالجسد المنتهك والمغسول بالمياه القذرة، كناية عن عذابات الشاعر و هو يحاول أن يطوع الفكرة لبناء قصيدته المستعصية عليه.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم توصل البحث إلى عدة نتائج وتوصيات نردها كالآتي:

- الإعلامية تعني الإخبارية حيث يخبرنا الشاعر بمعلومات عدة، و تعني الإبلاغية - أيضا - حيث يبلغ المتلقين رسالة ما .

ـ نص الفاخري يحمل الجدة والتنوع وهي من مبادئ الإعلامية.

ـــ نص (لا ممكنات) يربك المتلقي ويحفزه بغموضه وتجاوزه سقف التوقعات لديه، مما يرفع درجة الإعلامية فيه.

ـــ يطرح الشاعر كلاما غير مألوف في نصه، مما يجعل القارئ يلجأ للخفض الرجعي ليفسر ويحلل و من ثم يصل إلى مراده.

- جاء تكرار (لا) النافية في كل مقاطع النص لتأكيد ما يريده الشاعر، محفزا للمتلقي على إعمال العقل، وإقناعه برفضه لكل تلك الممكنات، ومن ثمّ الوصول إلى المبتغى.

- استخدم الشاعر أدوات عدة لإيصال رسالته للمتلقي؛ كالتجسيد والاستعارة والتكرار والتناص والانزياح و الحذف و الصور الرمزية.

- نجح الشاعر في جذب انتباه المتلقي و ذلك باستخدامه مفردات و أساليب فاقت أفق التوقع لديه .

- أسهمت الكلمات التناصية في إثراء النص بمنحه عمقا دلاليا رفع من إعلاميته .

- أثبتت هذه الدراسة توافر أحد المعايير النصية و هو الإعلامية في نص (لا ممكنات) للشاعر الليبي جمعة الفاخري ، و قد أبانت عن إعلامية عالية فيه .

- شعر جمعة الفاخري أرض خصبة لتطبيق المعايير النصية ، نأمل أن يقوم أحد الباحثين بهذه الدراسة .

الهوامـــش:

[1] ينظر روبيرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر تمام حسان ، دار عالم الكتب ، القاهرة ، 1998 م ،ص249

[2] حسام أحمد فرج ، نظرية علم النص ، الناشر مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2007 ، ط ص661

[3] . سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص ، المختار للنشر و التوزيع ،2004 ، ط1 ، ص127

4 الإعلامية أبعادها و أثرها في تلقي النص .محمد عبد الرحمن إبراهيم ،رسالة دكتوراه ، كلية معارف الوحي ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا 2007، ص9

[5] . ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1990، مج12 - ص418
مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط . ،مكتبة الشروق الدولية ،جمهورية مصر العربية ، ط4 ،)ص624
[6] . 2004
روبيرت دي بو جراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، تر تمام حسان ، دار عالم الكتب ، القاهرة
[7]،1998ص105
صبحي إبراهيم الفقي ،علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق ج1 ، دار قباء للطباعة و للنشر القاهرة
[8] ،2000م ، ط1 . ص33
[9] ينظر يسري نوفل ، المعايير النصية في السور القرآنية ، دار النابغة ، القاهرة ،2014 ، ط1 . ،ص253
[10]ينظر دي بوجراند 1998،ص254-255
[11].ينظر يسري نوفل،2014، ص253
[12] ينظر متصفح وزارة الثقافة
أحمد محمدعبد الراضي، ،2011 المعايير النصية في القرآن الكريم ، ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ،
[13]2011 ط1 . ، ص364
[14] ينظر ابن منظور 1994، مج13، ص414، مكن
[15]نوفل ، يسري2014، ص252
ينظر سوزان روبين و آخر- القارئ في النص . ، تر حسن ناظم و علي حاكم صالح ، دار الكتاب
[16]الجديد المتحدة ، بيروت لبنان ، 2007، ط1 ، ص 134
[17] ابن منظورج9، رشف، ص119
[18] جبران مسعود، الرائد، مادة لبأ
[19]ينظر الشمري ، زيد بن ذبيان 2015ص1093
[20] إيليا حاوي ، المتنبي دار الثقافة ، بيروت 1990 ، ط1 ، ص404
[21] سورة الحجرات الآية11
ينظرمفلاح بن عبدالله، تجليات الإعلامية في شعر تميم البرغوثي ، مجلة المدونة ، مج4، العدد 2 ، ديسمبر
[22]2017 .،ص593
[23] سورة البقرة الآية 159
[24] سورة الحاقة ، الآية 36